صبــراً سراييفــو

الأستاذ شريف حاج قاسم (❖)

هانَتْ بصــبــركِ حـدّةُ العـدوانِ ... وضــراوةُ الأحــقــادِ والصلبــانِ
وتناثرت حول اعـتـزازك بالهـدى ... أقــوالُهمْ ثملى بغــيــرِ لســانِ
والسمُّ منسـفحٌ يدنّسُ كـبـرَهُمْ ... مَـضَـغَـتْـهُ أوروبا بـألف بيـانِ
والحـقـد من سِمـة الجُناة بعـالمٍ ... قـد أرهبـتـه قنابل الطغـيـانِ
فـيـدٌ بهـا للمـوت كلُّ وسـيلة ... ويدٌ تفـجّـر فَـوْهة البـركـانِ
والصُّربُ قـافلةُ اللئـام وخلفَـهمْ ... صفٌ من الـذؤبـان والأعـــوانِ
هجـمُوا عليكِ وأنت أكـرمُ بُقعـةٍ ... في قلبِ أوروبا وخـيــرُ مكانِ
حملوا حضارة زَيْفهم فوقَ اللَّظى ... وعلى الدّم المسـفـوح في البلدانِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

صبراً سرَاييفـو ولا تستسلمي ... فــالدهرُ بالأحــداث ذو دَوَرانِ
ولَرُبَّ قـارعـة ينوءُ بحـملهـا ... قـومٌ، فـتـبـعـثـهمْ من الأكـفـان!
واجهتِ وحدَك حقـدَهُمْ وعتوَّهُمْ ... وهـزئتِ بالأوغـــادِ والـذُّؤْبـانِ
كم من فـتىً دافَ اللَهيبَ بصدره ... وَغْـدٌ لئـيمُ عـاثَ كـالثـعـبـانِ
ولكم رأينا للطفــولة مَــأتَمــاً ... حملَتْهُ- لو عـرفوا الحنانَ- يَدانِ
وعجبتُ من دَجَلٍ ومن كذبٍ وقد ... نادَوْا بيــوم الطّفل في تَحنانِ!
هو منهجُ الأشرار حين استنسَرُوا ... واستـأسـدُوا في غـابة الشـيطانِ
ويلٌ لكمْ يا صـرْبُ في دُنيـا الورى ... ويلٌ لكمْ من غَــضْــبَــةِ الديّانِ
فلقـد ضـربتُمْ بالغلُوِّ حـضـارةً ... ذا وجـهُـهـا المشـؤوم أحـمـرُ قـانِ
لطَّخْـتُـمـوها بالحـقـارة والزِّنى ... والخـمـرِ والإرهابِ والأضـغـانِ

بالحقد تغتصبون عِفَّةَ نسْوةٍ ... عِشْنَ الهُدى والطُّهْرَ في الأبدانِ
أقسمتُ أنكمُ وحوشٌ أُفلتت ... من غير ما شرفٍ ولا وُجْدانِ
أين النظامُ العالميُّ المرتجى ... لسعادة.. في عالم النسيانِ؟!
أين التبجُّحُ بالعدالة؟! إنها ... وهمٌ بنتهُ حضارةُ الرومانِ
أين التعايشُ والسلامُ وأينَ ما ... كنتمْ له تدعونَ من أزمانِ؟!
سبعونَ عاماً بل تزيدُ وفوقَكُمْ ... تيتو وترتعدون كالفئرانِ
لكن وجدتُمْ أمّةً مسلوبةً ... منكوبةً مهدودةَ الأركانِ
ها أنتمُ عذّبتمُ الأسرى بلا ... خَجَلٍ ودُسْتُمْ حُرمةَ الإنسانِ
والمسلمونَ وإنّهُمْ أيتامُ ... هذا العصرِ حولَ موائد الصُّلْبانِ
هجروا تعاليمَ السماءِ وضيَّعوا ... عزّاً لهم قد جاءَ في القرآنِ
من لم يجرِّدْ للجهادِ سيوفَهُ ... ويُحبَّ ساحَ الموت كالشجعانِ
لا يُرْتجى خيرٌ لَدَيْهِ لأمَّةٍ ... أبداً ولا يَغرُرْكَ طولُ لسانِ
فاستيقظي يا أمتي وتوحَّدي ... وتقدَّمي دفعاً لكل هوانِ
يا أمتي.. قلبي يمزِّقه الأسى ... والسُّهدُ يحرسُ في الدجى أجفاني
أبكي عليكِ لكي أُنفِّسَ عن جَوىً ... هاجت عليه كآبتي وبياني

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

عفواً سراييفو فما من حيلةٍ ... إلا الدُّعاءُ لخالق الأكوانِ!!
أشكو له الآلام تعصر مهجتي ... وتفيض في الأضلاع كالطوفانِ
ماذا لديّ سوى تدفُّق أدمعي ... وتوهُّجِ الحسرات في شِرْياني
ولقد أرى صُورَ الجرائم والخَنا ... فيهدُّ مَرْآها المُريع كياني
فأنام عَلَّ النومَ يسلبني العنا ... وأغيبُ عن حِسّي بكونٍ ثانِ
هذي «سراييفو» يهدِّمها العدا ... بمدافع الأحقادِ والشنآنِ

قد أسكتوا صوتَ الأذان بأُفْقِها ... وأتَوْا على المحـــراب والقـــرآنِ
وقنابلُ الأشـرار تتـرى فـوقَـهـا ... والناسُ في وجلٍ بغـيـر أمـان
والميّـتـون تكدَّسَتْ أجـسـادُهُمْ ... ولربَّمـا دُفنوا بلا أكـفـانِ
هذي «سـرايـيـفـو» بعـالمنا الذيذ ... باع الحـضـارة مُـرْغـماً للجـاني
فـانظر إليـه على امـتـداد بقـاعـه ... واسـألْ طغـاةَ الأرض أهلَ الشـانِ
هل يؤمنون بعـدلِ يومٍ حَـسـبُـهُ ... أنّ العـبـادَ بقـبـضـة الديّانِ!!

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

مـا مـرَّغَ الأوغـادُ جـبـهـتَك التي ... كـانت مـآذنَ للهـدى الربّاني
يا نجـمـةً في ليلِ أوروبا زَهَتْ ... وعلَتْ بطلعـتـهـا على كِـيـوانِ
لا تسـأمي طولَ الظلام فـأنت مِنْ ... أثـر الـنبـوَّة والسَّنـا المـزدانِ
والوعـدُ من عند النبي مـؤكَّـدٌ ... بالفـتـح والظل والظليل الهـاني
قَـدَرٌ عليك بأن تكوني عُـرْضَـةً ... للحـاقـدين بغـفلة الفـرسـانِ
وقلوبُ «مليـارٍ» عليك حـزينةٌ ... وعساه يحـفـزُهَا صدى البركانِ
ولعـلَّ جلـجلةَ المدافع أيقـظَتْ ... مَـن نـام حـولَ الماءِ والأفنـانِ
ولعلَّ كَـيْـدَ الكافـرين يهـزُّ مَنْ ... أمْـستْ قلوبُهمُ بلا خـفـقـانِ
مـا زالَ يملأُ أضْلُعي روحُ الرَّجـا ... ورفـيفُ مـا في القلبِ من إيمانِ
ويهـزُّني طَيْفٌ به أدركتُ مـا ... سـرُّ البـلاءِ اليـومَ والخُـسْـرانِ
وأرى به مـن قُـدرة الله التـي ... تجـري بحكمـتـه على إتقـانِ
ويلفُّني نورُ اليـقين بخـالقي ... ويقي فـؤادي من لظى الإذعـانِ
يا أُمّـتي إن الظلامَ سـينجَلي ... وغـداً يفـيضُ النّور للظمـآنِ
أأراكِ في طهرٍ نبذتِ سوى الهدى ... ونفـضت مـا في القلبِ من أدرانِ
ومـشـيتِ تـأتلقينَ في ليل الورى ... بالنورِ مُـسْـفِـرةً وبالفـرقـانِ